الدرس الثاني والأربعون

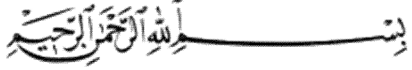

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد:

يقول الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب التميمي رحمه الله تعالى رحمة واسعة في كتابه «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» :

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لا تحلفوا بآبائكم ، من حلف بالله فليصْدُق ، ومن حُلف له بالله فليرضَ ، ومن لم يرض فليس من الله)) رواه ابن ماجه بسند حسن .

****

قال المصنف رحمه الله تعالى: ((**بابٌ ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله**)) أي ما جاء من الوعيد لمن كان كذلك، لأن من حُلف له بالله فعليه تعظيمًا لله عز وجل واستشعارًا لعظمة المحلوف به جل في علاه أن يرضى بهذه اليمين التي بالله سبحانه وتعالى ، فمِن تعظيم الله في القلب أن يقنع المرء إذا حُلف له بالله تعظيمًا لله سبحانه وتعالى .

قال: ((**باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله**)) أي ما جاء في ذلك من الوعيد ، وسيأتي معنا في الحديث الذي ساقه المصنف رحمه الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ومن لم يرض فليس من الله)) ، ومثل هذه الصيغة إنما تكون في الكبائر في الأمور العظيمة ، وهذا فيه من الوعيد ما لا يخفى .

أورد رحمه الله تعالى تحت هذه الترجمة حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**لا تحلفوا بآبائكم**)) خص الآباء بالذكر مع أن الحلف لا يجوز بغير الله لا بالآباء ولا بالأمهات ولا بغير ذلك من المخلوقات ، لكن خص الآباء بالذكر لأن النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في سياق هذا الحديث سمع رجلًا حلف بأبيه فقال : ((لا تحلفوا بآبائكم)) ، فخص الآباء بالذكر لكونه سمع رجلا يحلف بأبيه ، ولهذا خص الآباء بالذكر ، وإلا الحلف بغير الله سبحانه وتعالى محرم وهو من الشرك كما سبق مر معنا في الترجمة الماضية قول النبي صلى الله عليه وسلم ((من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)) ؛ بغير الله: الآباء الأمهات أيًا من المخلوقات، لأن الحلف تعظيم ولا يكون هذا التعظيم إلا لله سبحانه وتعالى .

قال : ((**من حلف بالله فليصْدُق**)) لأن المقام مقام عظيم جدًا ، عظمة الله سبحانه وتعالى في قلوب أهل الإيمان ومكانته جل وعلا في قلوبهم تستوجب من المرء إذا حلف بالله سبحانه وتعالى أن لا يحلف إلا وهو صادق . قال

((من حلف بالله فليصدق)) ، وإذا كان المسلم مطلوب منه الصدق في حديثه كله وقد قال عليه الصلاة والسلام ((عليكم بالصدق))، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩] ، فالمسلم مطلوب منه الصدق في حديثه كله ؛ فكيف بما يحلف عليه من حديثه!! لاشك أن المقام أعظم ، وما يكون في القلوب قلوب أهل الإيمان من التعظيم لله سبحانه وتعالى يستوجب على العبد عندما تخرج منه اليمين «والله ، بالله ، تالله ، ورب العرش ، وربي» ونحو ذلك من الأيمان أن لا يقول إلا كلامًا صدقًا ؛ تعظيما لله سبحانه وتعالى الذي حلف به جل في علاه . قال: ((من حلف بالله فليصدق)) أي ليكن فيما يقول صادقًا .

قال: ((**ومن حُلف له بالله فليرض**)) وهذا موضع الشاهد من الحديث للترجمة ((من حُلف له بالله فليرض)) : يرضى بذلك ، لما يكون في القلوب من التعظيم لله سبحانه وتعالى ، وقد قال أهل العلم في شرح هذا الحديث : أن ذلك عندما تتوجه اليمين على شخص في الخصومات والمنازعات ، فعندما تتوجه اليمين على شخص فيحلف فينبغي على خصمه بل يجب عليه أن يرضى إذا حَلف ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من حُلف له بالله فليرض)) والأمر هنا للوجوب ، ((فليرض)) أي وجوبًا وليس استحبابًا ، يجب عليه أن يرضى ، لأن ما يقوم في القلوب من التعظيم لله سبحانه وتعالى يستوجب أنه إذا حُلف لك بالله أن ترضى .

ويدل على أن الأمر للوجوب تمام الحديث قال ((**ومن لم يرض فليس من الله**)) وهذا النفي «ليس من الله»، «ليس منا» لا يكون إلا في الكبائر ، لأن من الأمور أو العلامات التي تُعرف بها الكبيرة أن يقال : "ليس من الله أو ليس منا أو يقال لا يؤمن" أو نحو ذلك من الصيغ المعلومة الدالة على أن الأمر كبيرٌ . فإذًا قوله ((**من حُلف له بالله فليرض**)) هذا على الوجوب .

- ومن أهل العلم من اعتبره خاصًا في الدعاوى عندما تتجه اليمين لأحد الخصمين فيحلف فالواجب على خصمه الآخر أن يرضى باليمين .
- ومن أهل العلم من يجعله عامًا تعظيمًا لله سبحانه وتعالى إذا حُلف له بالله فإن الذي عليه أن يرضى بهذه اليمين ، وإذا كان رأى خلاف ذلك فليتهم نظره وليضع احتمالات ، يقول : «مادام حلف لعلي أخطأت ، لعلي وهمت ، لعلي..» ، يبحث عن احتمالات ، ولهذا جاء في الصحيحين أن عيسى ابن مريم رأى سارقا يسرق أو يأخذ متاعًا فقال أتسرق ؟ قال ((كَلَّا وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ)) حلف بالله ، قال عيسى عليه السلام : ((آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَكَذَّبْتُ عَيْنِي)) ؛ فهنا قوله «كذبت عيني» ممكن يضع احتمالات ، يعني من الاحتمالات لعل صاحب المتاع أذن له بأخذه ، لعله لم يرد سرقته أراد أن يقلّبه وينظر مثلا ما هو هذا المتاع ، أو نحو ذلك من الاحتمالات ، نعم أنت رأيته يحمله لكن مادام أنه حلف فإنه يلتمس الإنسان احتمالات تعظيمًا لهذه اليمين بالله سبحانه وتعالى .

لكن العلماء يقولون: يستثنى من ذلك إذا كان الحالف معروف بالفجور ولا يعظِّم الله وعنده الأيمان الكاذبة الفاجرة دائمًا معروف عنه في ذلك ؛ فمثل هذه الحالة هو لا يعظم الله ، وهذه الأيمان التي تصدر عنه لا تصدر عن تعظيم لله سبحانه وتعالى بل هي صادرة عن فجور وعن كذب وعن عدم تعظيم لله سبحانه وتعالى ، ففي مثل هذه الحالة لا ينطبق الحديث لما يُعلم من حال الرجل فعلًا وواقعًا أنه الرجل فاجر ويحلف بالله ولا يبالي عُرف بذلك فمثل هذه الحالة تستثنى ، وأما ما سوى ذلك فإنه تعظيمًا لله سبحانه وتعالى ينبغي على العبد إذا حُلف له بالله فليرضى ، ومن لم يرض فليس من الله .

قال رحمه الله تعالى :

فيه مسائل؛ الأولى: النهي عن الحلف بالآباء.

لما جاء في الحديث ((لا تحلفوا بآبائكم)) ، وعرفنا أن تخصيص الآباء بالذكر لأن النبي عليه الصلاة والسلام سمع رجلًا حلف بأبيه فقال: ((لا تحلفوا بآبائكم)) ، والنهي يتناول كل محلوف به غير الله ، لا يجوز الحلف بغير الله سبحانه وتعالى .

الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى.

أي تعظيمًا لله سبحانه وتعالى الذي حلف له به جل في علاه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((من حُلف له بالله فليرض)) ، فالأمر للمحلوف له بالله أن يرضى وعرفنا أن هذا الأمر للوجوب .

الثالثة: وعيد من لم يرض.

أي في قول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث حديث ابن عمر رضي الله عنهما ((فليس من الله)) ، قوله ((فليس من الله)) هذا وعيد ، لأن مثل هذه الصيغة «ليس من الله»، «ليس منا» ونحو ذلك لا يكون إلا في أمر كبير ، لا يقال (ليس منا) ، أو (ليس من الله) ،أو (لا يؤمن) في أمر ليس من الأمور العظمة أو الكبيرة . فهذه الصيغة فيها الوعيد وأن هذا أمرٌ من الأمور العظيمة الكبيرة المستوجبة للعقوبة .

قال المؤلف رحمه الله تعالى :

باب قول ما شاء الله وشئت

عن قُتَيْلَة رضي الله عنها أن يهوديًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : «ورب الكعبة»، وأن يقولوا: «ما شاء الله ثم شئت» رواه النسائي وصححه.

****

قال رحمه الله تعالى: ((**بابٌ قول ما شاء الله وشئت**))؛ أي أن هذا القول لا يجوز ، جاءت في الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عنه والتحذير منه وأنه من التنديد والإشراك بالله سبحانه وتعالى ، وهو من شرك الألفاظ ؛ لأن الواو عندما يُعطف بها تفيد مطلق الجمع وفيها إيهام التسوية بين المعطوف والمعطوف عليه ، وهنا ذكر المشيئة ففيه إيهام تسوية مشيئة العبد بمشيئة الرب سبحانه وتعالى ، بخلاف ما إذا عطف بـ«ثم» فإن المعنى يختلف ، لأن «ثم» تفيد التراخي بخلاف «الواو» ، ولهذا لاحظ الآن حرف من حروف العطف إذا تغيَّر هذا يكون شرك وهذا لا يكون شركًا؛ مما يتطلب من المرء دقة في الألفاظ حرفٌ يغير !! عندما تعطف بالواو يكون شركًا بهذا وصفه النبي صلى الله عليه وسلم ، وعندما تعطف بثم «ما شاء الله ثم شاء فلان أو ثم شئت» لا يكون شركا. فإذًا حرفٌ واحد يتبدل يغيِّر المعنى يحيله إلى شرك ، مما يتطلب من المسلم أن يراعي الألفاظ مراعاة دقيقة ويضبط ألفاظه .

ومعلوم أن العبد له مشيئة لكن مشيئته تحت مشيئة الله ولا يشاء العبد إلا ما شاءه الله ، وقد قال الله سبحانه ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩] ، فالعبد له مشيئة لكن لا يمكن أن يكون شيء إلا بإذن الله ومشيئته سبحانه وتعالى ، في هذا المعنى يقول الشافعي رحمه الله:

ما شئتَ كان وإن لم أشأ وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن

لأن الأمور بمشيئة الله سبحانه وتعالى ، فما لم يشأه الله لا يكون ، ومن العبارات العظيمة الدارجة «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن» الأمور كلها بمشيئة الله سبحانه وتعالى ، فالعبد له مشيئة لكن مشيئته تحت مشيئة الله .

ونُهي عن العطف بالواو أن يقال «ما شاء الله وشئت» مع أن العبد له مشيئة نهي عن العطف بالواو؛ لما في هذا العطف من إيهام بالتسوية بين المعطوف والمعطوف عليه ؛ هذا فيما للعبد فيه شيء الذي له مشيئة ، فكيف لو قال قائل: "توكلت على الله وعليك" !! أو "أنا بالله بك" !! أو "ما لي إلا الله وأنت"!! أو نحو ذلك من العبارات، فهذه كلها عبارات فيها من الشرك مثل ما في هذه اللفظة ما شاء الله وشئت بل أشد .

فيجب على المرء أن يراعي الألفاظ مراعاة دقيقة وأن يضبط لسانه ، ولا يكفي الإنسان أن يقول في هذا المقام "لم أقصد" ، لأن الكلام هنا على شرك الألفاظ وليس شرك المقاصد ، هنا الكلام على شرك الألفاظ أما المقصد لو وُجد هنا لاختلف الأمر ، لو كان يقص الإنسان والعياذ بالله أن مشيئة العبد مساوية لمشيئة الله حتى لو عطف بـ«ثم» فاعتقاده شرك أكبر ، اعتقاده بحد ذاته الذي قام بقلبه شرك أكبر حتى لو عطف بثم ، فالكلام الآن ليس على المقاصد حتى يقول أنا لم أقصد الكلام على الألفاظ نفسها، الشريعة كما أنها جاءت بصيانة المقاصد جاءت أيضا بصيانة الألفاظ؛ فيصون الإنسان نفسه ، بعض الناس يأتي على لسانه مثل هذه الألفاظ وإذا أُنكر عليه يقول أنا لم أقصد ، يقال لو كنت تقصد لكان الأمر أعظم وأطم ، لكن الآن هذا خطأ في اللفظ ويجب أن تتركه وأن لا تعود إلى هذا اللفظ وأن تصون لسانك من هذا اللفظ ولا يكفي قولك أنني لا أقصد ، والكلمة قد يقولها

المرء لا يلقي لها بالًا ، يعني لم يقم عنده في قلبه مقصد فيهوي بها في النار سبعين خريفا ، فالشريعة جاءت بصيانة الألفاظ بحيث تكون ألفاظ العبد ألفاظًا دقيقة ألفاظًا نزيهة ألفاظًا سليمة ليس فيها إخلال بالعقيدة .

فهذه الترجمة عظيمة جدًا في النهي عن هذا اللفظ «ما شاء الله وشئت» وما شابهه من الألفاظ مما هو نظيره أو أشد منه مما مثَّلت به كأن يقول : "ما لي إلا الله وأنت" ، أو "أنا بالله وبك" أو "توكلت على الله وعليك" ، أو نحو ذلك من الألفاظ التي هي من هذا القبيل .

أورد رحمه الله تعالى حيث قُتَيْلَة ((**أن يهوديًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون والكعبة ؛ فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت**)) رواه النسائي وصححه .

تقول رضي الله عنها: ((**أن يهوديًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون**)) ؛ اليهود تعرفون عندهم الشرك الأكبر في عباداتهم وتوجههم لعزير وقولهم عزير ابن الله وتوجههم في العبادة لغير الله سبحانه ، فعندهم شرك أكبر ، فجاء رجل يهودي فقال إنكم تشركون وذكر أمثلة هي من الشرك الأصغر ((**قال: تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون والكعبة**)) ، وأخذ من ذلك المصنف رحمه الله تعالى «معرفة اليهود بالشرك الأصغر» ، هذا يهودي وعندهم شرك أكبر وعقائدهم فيها شرك أكبر ويعرف الشرك الأصغر وأنه خطأ ، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : «إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة» .

((**فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت**)) ؛ إذًا النبي صلى الله عليه وسلم أقر قول هذا اليهودي «إنكم تشركون» ، يعني يقصد اليهودي بقوله «إنكم تشركون» أي يوجد في المسلمين من عنده هذه الألفاظ الشركية ، «إنكم تشركون» يعني يوجد نسمع بعض المسلمين عنده هذه الألفاظ يقول والكعبة يقول ما شاء الله وشئت هذا المراد ، فأقر النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك شرك ؛ وهذا فيه : أن الحكمة ضالة المسلم أينما وجدها أخذها وقبِلها ، فهذا يهودي وجاء بهذا الكلام فالنبي صلى الله عليه وسلم أقر ذلك وقال للناس ((**أمرهم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة**)) .

سبحان الله! هنا لطيفة جميلة جدًا في التربية وطريقة التوجيه ؛ الآن لما يعتاد اللسان على كلمة ألِفها عندما يريد يحلف «والكعبة» عندما تُدخل على كلمته كلمةً تصححها هذا أهون عليه فيما ألِفه لسانه واعتاده لسانه ، ولهذا تجد العلماء يقولون لمن اعتاد أن يحلف بالنبي "والنبي" ،يقولون له : قل ورب النبي ، وهذا من نهج هذا الحديث، النبي صلى الله عليه وسلم ما قال قولوا والله أو وربي ، قال: ((قل ورب الكعبة)) ، لأن والكعبة هذه درجت على ألسنتهم ألِفتها ألسنتهم فأدخل عليها كلمة تصلحها ، أدخل على هذا الذي اعتاد عليه كلمة تصلح الخطأ الذي عنده ، قال: ((قل ورب الكعبة)) . ولهذا العلماء يقولون لمن اعتاد الحلف بالنبي يقولون قل ورب الكعبة أضف لها

«ورب» ، مثل ما النبي صلى الله عليه وسلم هنا قال ((قل ورب الكعبة)) أضف «ورب» حتى يكون حلفك بالله سبحانه وتعالى .

فبعض الناس فعلًا أَلِف وأخذ لسانه على الحلف بالنبي وأعتاد عليه ، ومن الطرَف التي تروى : أن شخصًا أقنع آخر وفهَّمه أن الحلف بالنبي سمعه يحلف بالنبي فأقنعه أن لا يحلف بالنبي واقتنع الرجل ، فأراد أن يؤكد له أنه اقتنع وقبِل فحلف له بالنبي أن لا يحلف بالنبي ؛ من كثرة ما أَلِف لسانه لذلك ، لكن إذا أدخلت عليه «ورب النبي» ، قل «ورب النبي» فهذه الكلمة تدخل على هذا المألوف الذي عنده فيصلح بإذن الله سبحانه وتعالى ، مثل طريقة النبي صلى الله عليه وسلم . لاحظ هنا لما قال ((تقولون والكعبة)) ما قال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا والله ، قولوا وربي ، لا ؛ أعطاهم تعديل لهذه الكلمة بحيث تصلح هذه اللفظة التي درجوا عليها وأَلِفتها ألسنتهم .

قال: ((**فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة ، وأن يقولوا ما شاء الله ثم شئت**)) ؛ أيضا ما شاء الله ثم شئت هي من هذا القبيل إدخال تعديل على الكلمة التي أَلِفتها الألسن ، بدل أن يقول "ما شاء الله وشئت" عطفًا بالواو التي فيها ما يفيد التسوية بين المعطوف والمعطوف عليه ، فأرشدهم إلى العطف بثم قال: ((قل ما شاء الله ثم شئت)) لأن «ثم» تفيد المهلة والتراخي ، والأوْلى من ذلك ما تقدَّم . ولكن قال ((أجعلتني لله ندا ، بل قل ما شاء الله وحده)) هذا أولى أن يقول «ما شاء الله وحده» هذا لاشك أنه أولى ، لكن إن قال «ثم شئت» لا بأس بذلك ولاسيما الإنسان الذي درج لسانه ، يعني ليست هذه كلمة مختارة أو لفظة مختارة يعتادها الإنسان ، الأولى أن يقول «ما شاء الله وحده» وهذا من كمال التوحيد وتمامه ، لكن إن قال «ما شاء الله ثم شئت» لا بأس بذلك .

وله أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم «ما شاء الله وشئت» فقال: ((أجعلتني لله ندا؟ بل ما شاء الله وحده)) .

****

قال : ((**عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت**)) مخاطبًا النبي عليه الصلاة والسلام ((**فقال: أجعلتني لله ندا؟**)) سبحان الله !! انظر الآن ؛ النبي صلى الله عليه وسلم أنكر هذا التنديد في الألفاظ مجرد قول الرجل «ما شاء الله وشئت» أنكر ذلك النبي عليه الصلاة والسلام ، وأنكره هذا الإنكار قال ((أجعلتني لله ندا)) ، والند: هو الشريك ، أجعلتني لله ندًا : أي عِدلًا شريكًا لله ، قال ذلك إنكارًا لهذه اللفظة صلوات الله وسلامه عليه ؛ فإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام أنكر هذا الإنكار بقوله أجعلتني لله ندا وفي رواية عدلًا أنكر هذا الإنكار لمن كان خطؤه في اللفظ بقوله «ما شاء الله شئت» ، فكيف بمن جعل النبي صلى الله عليه وسلم ندًا لله بالعبادة كيف يكون أمره ؟! كيف بمن جعل النبي صلى الله عليه وسلم

ندًا لله في العبادة والالتجاء والسؤال والطلب والاستعاذة والرجاء وإنزال الحاجات!! أو عندما يستغيث يقول في استغاثته «ما لي من ألوذ به سواك» مخاطبا النبي صلى الله عليه وسلم !!

إذا كان أنكر قول من قال «ما شاء الله وشئت» لكونه يوهم التسوية بين المخلوق والخالق أنكر ذلك وقال ((أجعلتني لله ندا بل قل ما شاء الله وحده))، فكيف بمن جعل النبي صلى الله عليه وسلم ندًا لله يصرف له من العبادة ما لا يُصرف إلا لله !! ويقول في مناجاته «يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عن حلول الحادث العمم» . فهذه مصيبة عظيمة ؛ إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام أنكر قول من قال «ما شاء الله وشئت» فكيف بمن جعل النبي صلى الله عليه وسلم ندًا لله يدعوه ويستغيث به ويلتجئ إليه ؟!

((قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت فقال: أجعلتني لله ندا بل ما شاء الله وحده)) ، و«وحده» فيها تأكيد بأن المشيئة مشيئة الله سبحانه وتعالى والأمر بيد الله وحده ، والمشيئة التي عند العبد هي تابعة لمشيئة الله سبحانه وتعالى ، وما شاءه العبد لا يمكن أن يكون إلا أن يشاءه الله رب العالمين ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩] ، ولهذا الأولى والأتم والأكمل أن يقول : «ما شاء الله وحده» ، وإن قال «ثم شئت» فإنه لا بأس بذلك .

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير ابن الله، قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد ، ثم مررت بنفرٍ من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله ، قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد ؛ فلما أصبحتُ أخبرتُ بها من أخبرت ، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، قال: هل أخبرت بها أحدًا ؟ قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((أما بعد؛ فإن طفيلًا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها ، فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله وحده)) .

****

قال رحمه الله تعالى: **((ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود))** الرؤية هنا منامية، يعني رأى في المنام كما جاء مصرحًا به في بعض الروايات رأى في المنام أنه مر على نفر من اليهود .

((قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير ابن الله ، قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد)) ؛ قول الطفيل في هذه الرؤية المنامية للنفر الذي مر عليهم يستفاد منه أسلوب في الدعوة، ((قال

لأنتم القوم لولا أنكم)) ؛أنك عندما تدعو شخص تعرف مثلا عنه أخلاق جيدة معاملات جيدة ؛ الصدق البر بالوالدين إلى آخره من المناسب أن تجعل هذه الأمر التي عنده مدخلًا لك في دعوته ، تقول ما شاء الله أنا أرى فيك صفات جميلة ، فيك كذا وفيك كذا وفيك كذا الخ لكنني أتعجب كيف أنك مع هذه الأخلاق الجميلة تقع في هذا الأمر! وأنت شأنك أكبر من هذا والبعد عن هذا الأمر لما تتمتع به من كذا وكذا ؛ هذا من الأساليب التي تستجلب الإنسان عند دعوته أو الإنكار عليه أو تحذيره من بعض المخالفات التي قد يقع فيها.

((**قالوا وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله شاء محمد، ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله ، قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد**)) أي النفر الذين من النصارى أعادوا عليه اللفظة نفسها .

قال: ((**فلما أصبحتُ أخبرتُ بها من أخبرت**)) أي من الصحابة .

((**ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، قال: هل أخبرت بها أحدًا؟ قلت: نعم . قال: فحمد الله وأثنى عليه**)) وهذا فيه بدء الخطب بالحمد والثناء على الله سبحانه وتعالى .

ثم قال: ((**أما بعد**)) أيضًا من هديه في الخطب أن يأتي بهذه الكلمة «أما بعد» بعد الثناء والحمد وعند الشروع في المقصود .

((**فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم قلتم كلمة**)) أي كلمة «ما شاء الله وشئت» .

((**قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها**)) أي يمنعني الحياء ، كلمة درجَت عليها الألسن وألِفها كثير من الناس واعتادوا عليها فكان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها . وهذا فيما قبل مجيء الوحي إليه عليه الصلاة والسلام بالمنع من ذلك ، يعني كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره هذه الكلمة ومنَعَه الحياء أن ينهاهم عنها ، لما جاءه الوحي بذلك نهاهم صلوات الله وسلامه عليه من هذه الكلمة .

قال : ((**كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها**)) ؛ وهذا يستفاد منه كما نبه المصنف رحمه الله أن هذه اللفظة ليست من الشرك الأكبر الناقل من الملة ، وإلا لو كانت من الشرك الأكبر الناقل من الملة المبطل للعمل لما أخَّر النبي صلى الله عليه وسلم النهي عنها .

قال: ((**فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده**))

قال رحمه الله تعالى :

فيه مسائل ؛ الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

قد تقدم معنا في حديث قتيلة رضي الله عنها ((أن يهوديًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال إنكم تشركون)) والنبي صلى الله عليه وسلم أقره ونهى الصحابة عن هذه الكلمة ؛ فهذا فيه معرفة اليهود بالشرك الأصغر مع أنهم متلبّسون بالشرك الأكبر .

الثانية: فهْمُ الإنسان إذا كان له هوى.

فهم الإنسان أي للحق إذا كان له هوى ؛ فهنا اليهودي مراده الإنكار والتخطئة للمسلمين والتنبيه على أنه يوجد فيهم مثل هذه الألفاظ الشركية ، فله هوى في ذلك ، فهذا فيه فهم الإنسان إذا كان له هوى ، وفعلًا صاحب الهوى تجد أنه له فهم إذا كان له غرض تخطئة أو غرض إنكار ؛ فيتحرك فهمه ويستخرج أمورًا قد توجد في بعض الناس فيقول وأنتم أيضا تقولون كذا وأنتم تفعلون كذا ، فله فهمٌ إذا كان له هوى .

الثالثة: قوله صلى الله عليه وسلم: ((أجعلتني لله ندا؟)) فكيف بمن قال: «يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك» والبيتين بعده!!

أي أن الأمر أعظم وأطم ، إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قال للرجل الذي قال «ما شاء الله وشت» وهذا خطأ شركي في اللفظ فقط وأنكره النبي صلى الله عليه وسلم هذا الإنكار وقال ((أجعلتني لله ندا)) ؛ يقول المصنف رحمه الله ناصحًا ومحذرًا فكيف بمن قال في دعائه ومناجاته :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمــم

وإن من جودك الدنيا وضرتها وإن من علومك علم اللوح والقلم

وهذان البيتان اللذان أشار إليهما جمعا تشبيه المخلوق بالخالق في أبواب التوحيد الثلاثة؛ الألوهية والربوبية والأسماء والصفات :

- أما الألوهية : ففي مناجاته في البيت الأول «يا أكرم الخلاق ما لي من ألوذ به سواك» .
- وأما الربوبية: ففي قوله «وإن من جودك -أي فضلك ومنّك وعطائك- الدنيا وضرتها» يقول مخاطبًا النبي صلوات الله وسلامه عليه .
- وأما في الأسماء والصفات: ففي قوله «وإن من علومك علم اللوح والقلم» .

فانظر هذه المقالة وهي في أبيات يحفظها عدد من الناس وربما في مناسبات مخصوصة لابد أن تقرأ هذه الأبيات وتعتبر أساس في بعض الاحتفالات التي تقام ، انظر هذه اللفظة التي قالها هذا الرجل في أبياته «يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك -يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام- عند حلول الحادث العمم» ، «وإن من جودك -أي فضلك- الدنيا وضرتها وإن من علومك علم اللوح والقلم» وقارنها بهذا اللفظ الذي قاله الرجل عند النبي عليه

الصلاة والسلام «ما شاء الله وشئت» أيهما أخطر ؟! والنبي عليه الصلاة والسلام قال لذلك الرجل: ((أجعلتني لله ندا)) أيهما أخطر؟

وحتى تفهم خطورة الأمر انتبه الآن لقول القائل في مناجاته يخاطب الله يناجي الله :

يا خالق الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحدث العمم

وإن من جودك[1] الدنيا وضرتها[2] وإن من علومك علم اللوح والقلم

يناجي رب العالمين هذا الكلام ما هو ؟ هذه المناجاة وهذا الدعاء ما هو ؟

هذا توحيد والتجاء إلى الله وتعظيم لله ، فكيف لو جاء شخص وبدَّل وقال يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وإن من جودك الدنيا وضرتها وأن من علوم علم اللوح والقلم

أليس قد جعل النبي عدلًا لله وندًا !! أكثر من قول ذلك الرجل الذي قال «ما شاء الله وشئت» !!

بعض الناس المفتونين بهذا الأمر ربما يحاول أن يلتمس أعذار يقول لا يقصد كذا أو لا يقصد كذا ، لو كان يقصد الأمور أيضا أشد ، نحن الآن أمام ألفاظ خطيرة جدا ، ألفاظ فيها جناية على التوحيد ، النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على ذلك الرجل الذي قال «ما شاء الله وشئت» وقال له ((أجعلتني لله ندا)) وهو لم يقصد تسوية مشيئة النبي صلى الله عليه وسلم بمشيئة الله وأنكر عليه !! وهذه الألفاظ التي في هاتين البيتين أخطر بكثير من ذلك ، خطيرة جدا ؛ فالواجب الحذر من مثل هذه الألفاظ ومثل هذه الكلمات ولاسيما التي توجد في شعر الغلاة في المديح ، سواءً مدح النبي عليه الصلاة والسلام أو مدح بعض الأشخاص المعظمين أو نحو ذلك يحصل أحيانا ألفاظ خطيرة جدًا . فمثل هذه الأمور يجب الحذر منها أشد الحذر .

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر؛ لقوله: ((يمنعني كذا وكذا)).

أن هذا ليس من الشرك الأكبر أي قول «ما شاء الله وشئت» بدليل قال : لقوله أي عليه الصلاة والسلام ((يمنعني كذا وكذا)) أي يمنعني الحياء ؛ وهذا فيه أن ذلك قبل أن ينزل عليه الوحي بالمنع من ذلك ، ثم بعد ذلك صار ينهاهم عليه الصلاة والسلام . وهذا أيضا يستفاد منه التدرج في الدعوة ، يعني إذا كان مثلا شخص عنده حلف بغير الله وعنده عبادة للقبور توجه لها بالدعاء والاستغاثة والسؤال وعنده حلف بغير الله ؛ أي الأمرين تبدأ به في معالجته ؟ فهذا فيه التدرج في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

---

[1] أي يا الله .

[2] أي الآخرة.

أن الرؤيا الصالحة مثل رؤيا الطفيل رضي الله عنه من أقسام الوحي .

السادسة: أنها قد تكون سببًا لشرع بعض الأحكام.

أنها أي الرؤية قد تكون سببًا لشرع بعض الأحكام مثل قصة الطفيل هنا ؛ خطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس على إثرها ونهاهم عن هذه اللفظة .

قال المؤلف رحمه الله تعالى :

باب من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤] .

****

قال رحمه الله تعالى ((**بابٌ من سب الدهر فقد آذى الله**)) ؛ وقوله «فقد آذى الله» كما جاء في الحديث حديث أبي هريرة الآتي ((يؤذيني ابن آدم يسب الدهر)) . و«آذى الله» : أي وقع منه ألفاظ وكلمات مؤذية ، وفرقٌ بين الأذى والضرر ، في الحديث قال الله تعالى في الحديث القدسي: ((يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي)) ولهذا قال «آذى الله» يعني قال كلمة وألفاظ مؤذية فيها أذى ، من الكلمات السيئة والألفاظ السيئة .

قال: ((**باب من سب الدهر فقد آذى الله**)) والدهر: هو تقلب الليل والنهار ؛ الفجر العصر الظهر الليل النهار اليوم الأسبوع الشهر هذا كله دهر ، تقلب الليالي والأيام هذا هو الدهر .

فبعض الناس لجهله وقلة علمه وقلة بصيرته عندما يحصل له أذى في يوم من الأيام أو ليلة من الليالي أو أسبوع من الأسابيع تجده يتجه بالسب إلى الليل أو إلى النهار أو إلى الأسبوع أو إلى العام مثلا ، يتجه بالسب والطعن والكلام السيئ!! مع أن الدهر مسخَّر ومقلَّب الله جل وعلا هو الذي يقلِّبه ولا يملك شيئا من هذا التقلب ، أمره بيد الله ، الله جل وعلا هو الذي يقلِّبه ، وسب المقلَّب سبٌ لمقلِّبه ، سب المقلَّب الذي لا يملك من أمر التقليب شيئا وليس بيده شيء من الأمر وإنما الذي يقلبه رب العالمين فسبُ المقلّب سبٌ لمقلِّبه ، ولهذا قال كما سيأتي في الحديث ((قال الله وأنا الدهر)) وفسر ذلك ((أقلِّب الليل والنهار)) أي الليل والنهار ليس لهم شيء من أمر التقليب هذا أمر بيد الله ، فمن سب الدهر الذي هو المقلّب فقد سب الله الذي هو المقلِّب للدهر ، ولهذا قال: ((من سب الدهر فقد آذى الله)) لأن الدهر لا يملك شيئا من الأمر .

ولا يخلو ساب الدهر من أمرين : إما الشرك ، أو السب لله .

- إن كان يعتقد أن الدهر هو نفسه الذي يحصل منه هذه الأمور وأنه هو الفاعل لهذه الأشياء ؛ فهذا شرك لأنه اعتقد خالق غير الله سبحانه وتعالى .
- وإن كان يعتقد أن الدهر لا يملك شيئا وأن الأمر بيد الله سبحانه وتعالى فهذا سب لله ، لأن من سب المقلَّب الذي لا يملك من أمر التقليب شيء فقد سبَّ مقلِّبه .

قال : **وقول الله تعالى:** ﴿**وَقَالُوا**﴾ أي الكفار المشركون ﴿**مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا**﴾ أي يموت قوم ويحيا آخرون ، نموت ونحيا: أي يأتي جيل ويفنَون ثم آخر ويفنون ، وهكذا.

﴿**وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ**﴾ يعني هذا فيه إنكار للبعث وأن هذه أجيال تنتهي بالموت وأن الهلاك من الدهر ؛ وهذا يتضمن سب للدهر ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ أي ما يحصل لنا من المصائب واللأواء والشدة ومن ذلك الموت والهلاك هذا كله بسبب الدهر ، يقولون ذلك على وجه المسبة للدهر .

ولهذا من يسب للدهر من الشعراء ومن سار مسارهم ممن إذا حصل له شيء في يوم من الأيام أو ليلة من الليالي فيسب الليلة أو يسب اليوم سلَفَه هؤلاء الذين يقولون ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ ، بينما المسلم إذا حصلت له مصيبة حصل له بلاء يعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن:١١] قال علقمة : «هو المؤمن تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلِّم» فهذا شأن المؤمن ، أما أن ينتقل الإنسان والعياذ بالله إلى أن يسب الدهر ويقول "قاتل الله هذه الليلة" أو مثلا يشتم الليل أو يشتم النهار أو من هذا الكلام "قبَّح الله الزمان" قبح الله هذه الليلة أو مثل هذا الكلام هذا كله من مسالك المشركين وطرائقهم المشينة التي جاء الإسلام بالتحذير عنها والنهي عنها .

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار)). وفي رواية: ((لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر))

****

قال: ((**وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم**)) وهذا فيه نسبة الأذى ، ولهذا قال المصنف في الترجمة «فقد آذى الله» ، فتسمية هذا الصنيع أذى ؛ أذى لله ((يؤذيني ابن آدم)) ، وهذا الأذى يعني أنها تصدر من الإنسان من ابن آدم هذه الألفاظ السيئة هذه الألفاظ القبيحة التي هي سبٌ الدهر ، وسب الدهر سبٌّ لمن يقلب الدهر وهو رب العالمين سبحانه وتعالى .

قال: ((**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر**)) وعرفنا أن الدهر هو تقلُّب الليل والنهار ، ولا يملك شيئا الأمر بيد الله ، فسب المقلَّب سبٌ لمقلبه .

قال: ((**وأنا الدهر**)) ؛ قوله «وأنا الدهر» لا يعني أن الدهر اسم من أسماء الله ، لأن الكلام جاء مفسرًا ومبينا قال ((**وأنا الدهر أقلب الليل والنهار**)) ، الدهر معروف هو تقلب الليل والنهار ، فقوله جل وعلا في هذا الحديث القدسي ((وأنا الدهر)) جاء مفسرا قال: ((أقلب الليل والنهار)) ، فأمْر الليل والنهار وتقلب الأيام والليالي هذا أمر بيد الله ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان:٦٢] ، ليلٌ يخلفه نهار ونهارٌ يخلفه ليل وهذا أمر بتدبير الله سبحانه وتعالى وتسخيره جل في علاه .

قال: ((وأنا الدهر أقلِّب الليل والنهار)) وهذا يستفاد منه أن من سب الدهر فقد سب الله ، وهذا معنى قوله ((يؤذيني ابن آدم يسب الدهر)) .

قال **وفي رواية:** ((**لا تسبوا الدهر**)) وهذه الرواية فيها النهي عن سب الدهر .

قال: ((**لا تسبوا الدهر ؛ فإن الله هو الدهر**)) وعرفنا أن المراد بقوله هو الدهر: أي الذي يقلب الليل والنهار ، وأن تقلب الدهر تقلب الليل والنهار أمر بيده سبحانه وتعالى .

قال رحمه الله تعالى :

فيه مسائل ؛ الأولى: النهي عن سب الدهر.

كما جاء في الحديث قال : ((لا تسبوا الدهر)) ، فالنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن سب الدهر ، وجاء في الحديث الذي قبله تسمية ذلك أذى .

الثانية: تسميته أذى لله.

لأن الله قال في الحديث القدسي ((يؤذيني ابن آدم)) فتسمية ذلك أذًى لله .

الثالثة: التأمل في قوله: «فإن الله هو الدهر» .

أي أن الدهر ليس من أسماء الله ، لكن لما كان أمر الدهر بيده وتقلب الليل والنهار بيده والدهر مسخر لله وبيد الله وبتدبيره سبحانه قال: ((فإن الله هو الدهر)) ؛ أي هو الذي يقلب الليل والنهار .

الرابعة: أنه قد يكون سابًا ولو لم يقصده بقلبه.

يعني الآن لاحظ قال ((يؤذيني ابن آدم يسب الدهر)) لأن سب الدهر سبٌ لله الذي هو مقلب للدهر ، فتجد بعض الناس يسب الدهر ولم يقصد سب الله ، فيقول المؤلف: أنه قد يكون سابًا ولو لم يقصده بقلبه ؛ ولهذا بعضهم يقول : لا والله ما أقصد ، أنا قصدي الدهر نفسه ، الدهر ما يملك شيئا ، كل التقلب الذي يكون منه هذا بيد الله ، فالسب له سبٌ لمقلبه . فقوله «لم يقصد» يفيد أنه قد يكون سابًا ولو لم يقصد يقلبه . وهذا يؤكد المسألة السابقة أن الشريعة جاءت بصيانة الألفاظ ، حتى وإن كان مقصد الإنسان طيب ، يلاحظ على كثير من الناس أنه يقول والله أنا قصدي طيب ما قصدت كذا أو نيتي طيبة ؛ يُشكر الإنسان على نيته الطيبة وقصده الطيب لكن يذم أيضًا على ألفاظه السيئة الخاطئة ، والواجب عليه أن يصون ألفاظه من أي مخالفة لشرع الله سبحانه وتعالى ولاسيما المخالفات التي تقدح في التوحيد .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .